ظواهر الأداء الصّوتي المتعلّقة بالأصوات الصّائتة وأثرها في علمي القراءات والتجويد

Vocal performance phenomena related to consonant sounds and their impact on the science of recitations and intonation

نصيرة شيادي [*(1)]

جامعة أبي بكر بلقايد، (تلمسان)

البريد الإلكتروني: Nacera83@hotmail.fr

تاريخ الإرسال: 15 /2023/03	تاريخ القبول:2023/06/07	تاريخ النشر:2023/06/17

الملخص:

يُمثّلُ الأداء الصوتي جانبا مهما من جوانب اللغة، وأساسا خطيرا من أسس الكلام؛ فهو فن النطق بالكلام على صورة توضح ألفاظه، وتكشف القناع عن معانيه. وهو فن التأثير في المستمع لينجذب إلى المؤدي بكل حواسه السمعية والبصرية والشعورية، ولا شك أنّ الأداء السليم يحفظ للغة رونقها في الأسماع، ووقعها الساحر في الطباع، ويفتح لها القلوب فتعي ما تسمع، ثم تتأمله في أناة وارتياح.

والأداء الصّوتي تحكمه قوانين وقواعد، ونحن في لغتنا العربية أحوج ما نكون إلى هذا . ولا سيما . عندما نلحظ ما أصاب النطق والأداء العربي اليوم من عيوب وتصدعات واختلافات تمثل نوعا من الفوضى الأدائية، تتمثل في غياب النمط والنموذج المتّفق عليه، ولكن إذا عُدنا إلى القرآن الكريم ووقفنا عند علمي القراءات والتجويد فسنجد أنّ ظواهر الأداء الصوتي حفظت القرآن الكريم، ومنعت اللسان من الوقوع في الزلل واللحن وهذا ما سنحاول الوقوف عنده من خلال تسليط الضوء على ظواهر الأداء الصّوتي المتعلقة بالأصوات الصّائتة وتوضيح أثرها في علمي القراءات والتجويد.

الكلمات المفتاحية: ظواهر الأداء الصوتي، الأصوات الصائتة، علم القراءات، علم التجويد.

Abstract:

The vocal performance represents an important aspect of the language, and a serious foundation for speech. It is the art of uttering words in an image that clarifies its words, and reveals the mask of its meanings. It is the art of influencing the listener to be attracted to the performer with all his auditory, visual and emotional senses, and there is no doubt that proper performance preserves the splendor of the language in the ears, and the magician fell into her nature, and opens hearts to her, so she understands what she hears, then she contemplates it with patience and satisfaction.

Vocal performance is governed by laws and rules, and we in our Arabic language are in dire need of this - especially - when we notice the defects, cracks and differences that afflict Arab pronunciation and performance today that represent a kind of performative chaos,

* المؤلف المرسل

represented in the absence of an agreed pattern and model, but if we return to the Qur'an And we stopped at the science of readings and intonation, so we will find that the phenomena of vocal performance preserved the Holy Qur'an, and prevented the tongue from falling into slippage and melody.
Keywords: Phenomena of vocal performance, consonant sounds, the science of readings, the science of intonation.

مقدمة:

إنّ لكلّ لغة نظاما خاصّا في تأليف ألفاظها، فما يشيع في إحداها قد يندر في الأخرى؛ فألفاظ اللغة العربية تتألف من تلك الحروف الهجائية المألوفة لنا، ويتكون لتلك الألفاظ العربية نسج خاص إذا حاد عنه اللفظ قيل إنه غير عربي. [1]

ولعلّ من الحقائق المقررة أنّ الدرس الصوتي عند العرب من آصل الجوانب التي تناولوا فيها دراسة اللغة وأقربها إلى المنهج العلمي؛ ذلك أنّ أساس هذا الدرس مبني على القراءات القرآنية، وهو علم وإن كان متأخرا من حيث الوضع النظري عن بعض علوم اللغة الأخرى كالنحو فإنه أسبق منها من حيث الواقع العملي، وإذا كان (الفيدا) * هو الذي دفع الهنود إلى دراسة الأصوات اللغوية بتلك الدرجة من الإتقان التي يذكرها مؤرخو اللغة فإنّ قراءة القرآن الكريم هي التي جعلت علماء العربية القدماء يتأملون أصوات اللغة، ويلاحظونها هذه الملاحظة الذاتية التي أنتجت في وقت مبكر جدا دراسة طيبة للأصوات العربية؛ حيث أنّ الهدف من الدراسة الصوتية هو حفظ الألسن الناطقة بالعربية من الغلط والزلل والانحراف ولاسيما عند قراءة القرآن الكريم.

إنّ فعلماء العربية القدماء درسوا الصوت ضمن دراساتهم اللغوية، فلم تكنْ مُعالجتهم للمادة الصوتية مستقلة؛ إذ كانت هذه الأخيرة منتشرة في كتبهم كما هو الحال في موضوعات النحو الصرف على نحو ما نراه في كتاب العـين للخليـل(ت 175 هـ)، والكتاب لسيبويه(180 هـ)، ومعاني القرآن للفراء(ت207هـ) والمقتضب للمبرد(ت285هـ)، والأصول لابن السراج(ت 316 هـ)، والجمل في النحو للزجاجي(ت370 هـ) وغيرها من الكتب.

فدراسة الأصوات عند علماء العربية ترتبط بأغراض معينة في الموضوعات التي كانوا يبحثونها، وقد كانت تتّبع نظرة شاملة مستقلة تهدفُ إلى بيان النظام الصّوتي للغة العربية، وما يخضع له ذلك النظام من الاعتبارات الصّوتية في الكلام المنطوق، أمّا علماء التجويد فإنّ دراستهم للأصوات كانت ترتبط بشكل أساس بمعالجة ما سمّوه باللحن الخفي، يقول أبو الحسن علي بن جعفر السعيدي(ت41 هـ) . وهو من علماء التجويد ."واللحن الخفي لا يعرفه إلاّ المقرئ المتقنُ الضّابطُ المتجنب عن الإفراط في الفتحات

والضمات والكسرات والهمزات وتشديد المشددات وتخفيف المخففات، وتسكين المسكّنات، وتطنين النونان وتفريط المدّات وترعيدها وتغليظ الراءات وتكريرها." [2]

فعلماء التجويد قسّموا اللحن إلى قسمين هما:

اللحن الجلي وهو الخطأ الظاهر في الحركات خاصة، وقالوا بأنه ميدان عمل النحاة والصرفيين واللحن الخفي وهو الخلل الذي يطرأ على الأصوات من جرّاء عدم توفيتها حقوقها من المخارج أو الصفات، أو ما يطرأ لها من الأحكام عند تركيبها في الكلام المنطوق، وهذا هو ميدان علماء التجويد. [3]

وهكذا تحققت لعلماء التجويد فرصة لدراسة أصوات العربية دراسة شاملة، ولم تتحقق للنحاة الذين كانت تشغلهم دراسة الأصوات لمعالجة القضايا الصّرفية؛ الأمر الذي جعل منهج علماء التجويد يتميز بأنه شامل استغرق جميع المباحث المتعلقة بعلم الأصوات النطقي، وبأنه منهج صوتي خالص لم تختلط فيه الدراسات الصوتية بما عداها من الموضوعات. [4]

وعلى ذلك فقد قام علماء التجويد باستخلاص المادة الصوتية من مؤلفات النحويين، وعلماء القراءة وصاغوا منها هذا العلم الجديد الذي اختاروا له اسم (علم التجويد) وواصلوا أبحاثهم الصوتية مستندين إلى تلك المادة، وأضافوا إليها خلاصة جُهدهم حتى بلغ علم التجويد منزلة عالية من التقدم في دراسة الأصوات اللغوية؛ فقد توسعوا في بعض الموضوعات الصوتية لم يذكرها علماء اللغة قبلهم؛ فعلى سبيل المثال لو نظرنا إلى موضوع (المد) نجد أنّ هذا المصطلح قديم؛ استعمله سيبويه ومن تابعه من علماء العربية لكن هذا المصطلح في أغلب الأحيان قد قُصِرَ على صوت الألف كونه صفة ثابتة له، وصوتي الواو والياء إذا سُبقا بحركة من جنسهما وسكنا، [5] لكن هذا الموضوع قد توسّع في كتب التجويد مع الاحتفاظ بالجوهر الأساسي لفكرة المد التي ذكرها علماء اللغة، فأصوات المد هي: الياء والألف والواو؛ سميت ممدودة لأنّ الصوت يمتد بها بعد إخراجها من موضعها إلاّ أنّ المدّ الذي في الألف أكثر من المد الذي في الياء والواو؛ لأنّ اتّساع الصوت بمخرج الألف أشدّ من اتّساعه لهما لأنك قد تضم شفتيك في الواو وترفع لسانك قبل الحنك في الياء. [6]

إنّ هذا التحديد لأصوات المد عند المجودين أشار إليه علماء اللغة إلاّ أنّ علماء التجويد قد توسّعوا في أركان هذا الموضوع، فمثلا ذكر مكي(ت 437 ه) سبب تسمية أصوات المد، [7] وقسّم المد إلى: مد طبيعي ومد متكلف. وفيما يتعلق بكتب القراءات اهتمّ مؤلفوها بذكر الخلاف بين القراء في أطوال المد. [8]

وباختصار نقول إنّ علماء القراءات والتجويد أدّوا دورا كبيرا في تنشيط الدراسة الصوتية بطرائق مختلفة وما موضوع (المد) إلاّ مثال على مدى توسع بعض الموضوعات في هذين العلمين.

ومن الأمور الجديرة بالذكر قبل أن نخوض في ظواهر الأداء الصوتي المتعلقة بالأصوات الصائتة تعريف أربعة مصطلحات تُمثل اللبنة الأساس في تشكيل العنوان ألا وهي: مصطلح الأداء، الأصوات الصائتة، علمي القراءات والتجويد وكذا الصلة بين علم التجويد والقراءات؛ حيث أنّ فهم الأخيرة أمر ضروري يتوقف عليه فهم عدد من ظواهر الأداء الصوتي.

1 . الأداء:

استعمله الخاقاني(ت325هـ) في منظومته للتعبير عن ما يُؤديه القارئ من ألفاظ التلاوة[9] وهكذا استعمل عند أبي الفضل الخزاعي[10] حتى غدا مصطلحا يُطلق على ما يُتعلّم قراءة ومشافهة على المشايخ دون المنصوص في الكتب،[11]وأصبح شعارا وسمة للمحققين من علماء القراءة الضّابطين لألفاظ التلاوة أن ينسبوا إليه ويُلَقبوا به.

وفن الأداء هو فن الإلقاء؛ وهو يعني المهارة الفنية في استغلال الصوت بما يخدم الإنسان في تعامله واتّصاله بالآخرين في شكل جميل وممتع ومثير،[12] كما أنّ الأداء هو فنّ التأثير في المستمع لينجذب إلى المؤدي بكلّ حواسه السمعية والبصرية والشعورية عن طريق اللفظ، والعبارة، والأسلوب، وجهارة الصوت، والنبرة، والتنـغيم، وسلامة النطق من العيوب المخلّة بفصاحة الكلام"الأصوات والحروف" بحيث يُمكن للجهاز النطقي أن يقوم بإخراج الحروف ناصعة لا يشوبها قدر من التشويش أو الاختلاط مع غيرها. [13]

فمصطلح الأداء (Enonciation) يمثل الهدف والغاية لعلم الصوتيات؛ فعلم أصوات العربية يسعى إلى تحديد النظام العام الذي تؤدى به اللغة العربية الفصحى وفق الذوق العربي السليم، وذلك حتى يتحقق للعربية سلامتها من اللحن والخطأ فتعبّر عن المعاني تعبيرا دقيقا غير منقوص. والأداء باعتباره مصطلحا صوتيا هو الصورة النطقية التي تأتي عليها اللغة المنطوقة بأصواتها وكلماتها وجُملها، [14] كما أنه يزيد في وُضوح الدلالة على المعنى.

2 . الصّوائت:

مصطلح أطلق على أصوات المد والحركات جميعا؛ [15]وهذه الأخيرة هي (الألف والواو والياء) التي سماها الداني(ت 444 هـ) بالأصوات الممدودة حيث قال:"وسميت ممدودة لأنّ الصوت يمتد بها بعد

إخراجها من موضعها" [16] وسماها أيضا بحـروف (اللين) لضعفها وخفائها وبيّن أنّ الحركات مأخوذة منها. [17]

وسماها علماء التجـويد بالأصوات الذائبة، قال صاحب الموضح:" فأما حروف الاعتلال فهي ثلاثة: الألف والواو والياء وتسمى حروف المد واللين أيضا إذا كان الواو والياء كل واحد منهما ساكنا وحركة ما قبله من جنسه، فأما الألف فلا تكون إلا ساكنة وحركة ما قبلها لا تكون إلاّ من جنسها وهي الفتحة، وتسمى هذه الحروف أيضا الذوائب إنما سمّيت ذوائب لأنها تذوب وتلينُ وتمتدّ "[18]

ولم يغفل هؤلاء العلماء موضوع الربط بين هذه الأصوات وبين الحركات، فقد قرروا أن الفتحة من الألف والضمة من الواو والكسرة من الياء، وعلى هذا تكون الأصوات الذائبة ثلاثة من حيث نوعها: الفتحة والألف والضمة وواو المد والكسرة وياء المد، وستة من حيث الكمية فالألف والواو والياء المدية أصوات طويلة والفتحة والضمة والكسرة أصوات قصيرة. [19]

3 . علم القراءات:

وهو الوُجوه المختلفة التي سمح النبي صلى الله عليه وسلم بقراءة نص المصحف بها قصدا للتيسير، والتي جاءت وفقا للهجة من اللهجات العربية، يقول ابن الجزري(ت833هـ):" فأما سبب وروده على سبعة أحرف فللتخفيف على هذه الأمة وإرادة اليسر بها والتهوين عليها شرفا لها وتوسعة ورحمة." [20]

4 . التجويد:

يعني انتهاء الغاية في الإتقان، وبُلوغ النهاية في التحسين، عرّفه الداني بقوله:"هو إعطاءُ الحروف حقوقها، وترتيب مراتبها، وردّ الحرف من حروف المعجم إلى مخرجه وأصله وإلحاقه بنظيره وشكله وإتباع لفظه وتمكـين النطق به على حال صيغته وهيئته من غير إسراف ولا تعسف ولا إفراط ولا تكلف وليس بين التجويد وتركه إلاّ رياضة من تدبره بفكه" [21]

وجعل القرطبي(ت461 هـ) التجويد من الأساليب الخمسة التي يُقرأ القرآن بها في قوله:" وخمسةٍ منها أجاز الأئمة الإقراء بها، ونُقلتْ عنهم على اختلافٍ فيها وهي: التخفيف واشتقاقُ التحقيق والتجويد والتّمطيط والحدَرُ " [22] وأضاف قائلا :"وأمّا التجويد فهو أن يُضيف إلى ما ذكرته في الحدر مراعاة تجويد الإعراب وإشباع الحركات وتبيين السواكن، وإظهار بيان حركة المتحرك بغير تكلّفٍ ولا مبالغةٍ."[23]

5 . الصّلة بين علم التجويد والقراءات:

يجتمع علم التجويد وعلم القراءات في أنّ ميدانهما واحد هو قراءة القرآن الكريم لكنّ هناك فُروقا بين العِلمين أبرزها فرقان هما: [24]

أ . من حيث الموضوع:

يعتني علم التجويد بدراسة حقائق الأصوات أمّا علم القراءات فيعتني بوُجوه النطق المروية.

ب . من حيث المنهج:

تعتمد كتب القراءات على الرواية بينما تعتمد كتب التجويد على الدراية المبنية على المشافهة ورياضة الألسن.

وقد أشار العلماء السابقون إلى الفرق بين العِلمين، وفي هذا يقول مكي بن أبي طالب:" علم القراءات علم يُعرفُ فيه اختلاف أئمة الأمصار في نظم القرآن في نفس حروفه أو في صفاتها، فإذا ذُكرَ فيه شيء من ماهية صفات الحروف فهو تتميم؛ إذ لا يتعلق الغرض به، وأمّا علم التجويد فالغرض منه معرفة ماهيات صفات الحروف، فإذا ذكر فيه شيء من اختلاف الأئمة فهو تتميم." [25]

ويرى السيد فرغلي في مقدمة تحقيقه لكتاب الداني أنّ قواعد التجويد ما هي إلاّ جزء من علم القراءات وأنّ كتب القراءات مقدمة من حيث التصنيف على علم التجويد، وأنّ علم التجويد من الناحية العملية والمشافهة لا ينفصل عن علم القراءات.[26]

وبناء على هذه الصلة بين العلمين ارتأيت أن أتحدّث عن ظواهر الأداء الصوتي المتعلقة بالأصوات الصائتة وأثرها في علمي القراءات والتجويد مشتركة بين العلمين.

وُسمت مصنفات علماء القراءة والتجويد بأنها أكثر الكتب احتفاء بالمادة الصوتية؛ وذلك لابتغائها الدقة في تأدية كلمات القرآن الكريم قراءة وتدوينا إلى حدّ جعل بعض الباحثين يذهبون إلى أنّ هذه العلوم انفردت بالدرس الصوتي وأغنته[27] على أنها أفادت من علم النحو عامة ومن كتب سيبويه خاصة يقول برجستراسر:" كان علم الأصوات في بدايته جزءا من النحو ثم استعاره أهل الأداء والمقرئون وزادوا في تفصيلات كثيرة مأخوذة من القرآن الكريم."[28]

والحق أنّ هذه العلوم تمثل الجانب التطبيقي الوظيفي لكل ما سبق ذكره من دراسات صوتية، وقد ظهرت في مرحلة مبكرة من تاريخ حضارتنا العلمي صدْعا بالأمر الإلهي ﴿ وَرَتِّلِ القُرآنَ تَرْتِيلاً ﴾[29] وصولا إلى الوجه الأمثل لهذه التلاوة، ووصفا لأوجه الأداء المختلفة التي تبدّت في القراءات القرآنية وانطوى عليها الرسم العثماني للمصحف لكنها اقتصرت بادئ الأمر على المشافهة والتلقين دون الكتابة

والتدوين، ثم ظهرت مصنفات القراءات القرآنية التي عُنيت ببيان وُجوه الأداء المختلفة معزوّة إلى ناقليها ووجوه الأداء هذه تشتمل على الكثير من ظواهر الأداء الصوتي المتعلقة بالأصوات الصائتة كالإشمام والروم والإمالة إلى غير ذلك مما يدخل تحت ما يُدعى بعلم وظائف الأصوات Phonologie. [30]

وهذا ما كان قد أشار إليه ابن الجزري بمصطلح(التركيب) بقوله:" أوّل ما يجب على مُريد قراءة القرآن تصحيح إخراج كلّ حرف من مُخرجه المختصّ به تصحيحا يمتاز به عن مُقاربه، وتوفية كلّ حرف صفته المعروفة به توفية تُخرجه عن مُجانسه. يعمل لسانه وفمه بالرياضة في ذلك إعمالا يصيرُ ذلك له طبعًا وسليقة، فكلّ حرف شارك غيره في مخرج فإنه لا يمتاز عن مُشاركه إلاّ بالصّفات، كلّ حرف شارك غيره في صفاته فإنه لا يمتاز عنه إلاّ بالمخرج فإذا أحكم القارئ النطق بكل حرف على حدته موفٍّ حقّه. فليعمل نفسه بإحكامه حالة التركيب لأنه ينشأ عن التركيب ما لم يكن حالة الإفراد؛ وذلك ظاهر فكم ممّن يُحسنُ الحروف مفردة ولا يُحسنُها مركبة بحسب ما يُجاورها من مُجانس ومُقارب وقويّ وضعيف ومفخّم ومُرقّق فيجذب القويّ الضّعيف، ويغلب المفخم المرقّق، فيصعبُ على اللسان النطق بذلك على حقّه إلاّ بالرياضة الشديدة حالة التركيب، فمن أحكم اللفظ حالة التركيب حصّل حقيقة التجويد بالإتقان والتدريب" [31]

فالأصوات اللغوية تتأثر بعضها في بعض في أثناء الأداء نتيجة ميل الإنسان بطبيعته إلى التيسير والتسهيل، ولتحقيق الانسجام الصوتي في أثناء الأداء. فظواهر الأداء الصوتي المتعلقة بالأصوات الصائتة تتعلق بثلاثة معايير هي:

1 . معيار الكمية / 2 . معيار الوضوح / 3 . القطع النطقي

بحيث تجد بعض الأداءات الصوتية تقوم على أساس الكمية الصوتية المنطوقة في إصدار ذلك الصوت وغالبا ما يتعلق هذا الأمر بالصوائت صغيرها ومتوسطها وطويلها، أما الثاني فيتعلق بوضوح الصوت من جهتي الأداء والسّمة الصوتية، وغالبا ما يؤدي هذا الأمر إلى التداخل بين نطق الأصوات؛ بحيث تندمج السمات لتصدر صوتا هجينا غير واضح الملامح، ويتحدد هذا الأداء ببعض الظواهر الصوتية المعروفة عند المجودين كالإشمام مثلا، أما المعيار الثالث فيتحقق بوسيلة استمرارية الأداء النطقي للصوت أو قطعه، ويتفاوت مدى القطع ذاك بين أداء وآخر، ويتعلق هذا المعيار بظاهرة الوقف الصوتي وما يتفرع عنها.[32]

ومن الظواهر الصوتية المتعلقة بالأداء الصوتي والتي وردت في أداء بعض القراءات القرآنية، والتي خصها علماء التجويد بالدراسة ما يأتي:

1 . المد:

إنّ دراسة كمية الصوت ومدّة إنجازه نطقيا عبر قياس مدة الصوت زمنيا بوساطة أجهزة مخبرية يُعدّ من الموضوعات المهمة في الدرس اللساني الحديث، وهو أمر لم يُغفله عُلماؤنا القدامى على مُختلف مشاربهم التحليلية وانتماءاتهم المعرفية؛ بل إنهم وقفوا عنده وقفة عميقة وطويلة لاستبيانه على نحو دقيق وسنقفُ هاهنا عند موضوعين تضادّا في زمن النطق، بحيث جاء الأول منهما على أساس التطويل في حين جاء الثاني على أساس التقصير.

والمد هو امتداد الصوت وديمومته في الزمن، [33]وهو حكم نطقي يُقاس من خلاله زمن أداء الصوت ويتحدد هذا الموضوع بالصوائت التي عرفت بوساطته أصوات المد؛ فهو حكم يجبُ لحروف المد واللين إذا كان عقبيها همزة أو حرف ساكن مدغم أو مظهر مثل:(السماء) و(البناء) و(قائل) و(بائـع) و(الضالين) و(العادين) وما أشبه ذلك؛ [34] أي إنه عبارة عن زيادة المد في حروف المد لأجل همزة أو ساكن بعدها.

وتحدث علماء التجويد عن علّة وُجود المد في هذه الجمهرة من الأصوات " فعلة وجوبه فيما إذا كان بعد حرف المد همزة أنّ حروف المد في غاية الخفاء والخفة، والهمزة في غاية الظهور والثقل فهما ضدّان فجاء المد مقرّبا لهذه الحروف مُظهرا لخفائها ليحصل هناك مناسبة ما تُحصّن الهمزة وتحرسها، ولولا ذلك لم يؤمن من أن يغلب خفاؤها على الهمزة فتضعف وتتلاشى. فأما إذا انفتح ما قبل الياء والواو فإنهما لا يمدّان إذا عقبتهما همزة في مثل (خلوا إلى) أو (تعالوا إلى) و(مطر سوء) لأن اللسان ينبسط بهاما فتثقلان ولا تخفيان خفاء الواو والياء والألف مع حركاتهن فلم يجب المدّ لذلك، فالحاصل أنّ هذه الحروف إنما مدّت لئلاّ يكون اللسان منتقلا عن الأخفّ إلى الأثقل دفعة فلا يتحقق مخرج الهمزة فقويت بالمدّ إرادة لبيان الهمزة وقصدا لتحقيق مخرجها وتوخّي تمكّن النطق بها، ولهذه العلة استحبّ إظهار السكون قبلها إبرازا بيّنا شافيا."[35]

كما وقف الداني على أسباب المد وظهر ذلك عند حديثه عن الألف قال:" وإن لقي همزة أو حرفا ساكنا مظهرا أو مدغما زيدَ في تمكينه وإشباع مدّه بيانا للهمزة لخفائها، وليتميز بذلك الساكنان أحدهما من الآخر ولا يجتمعان ولذلك حكم الياء المكسورة ما قبلها، والواو المضموم ما قبلها مع الهمزة والساكن والساكن ومع غيرها كحكم الألف سواء" [36]

وهو بهذا التعليل لحدوث المد يُوافق ابن جني(ت 392 ه) الذي علّل لظاهرة المد قال:" ألا ترى أنّ الألف والياء والواو اللواتي هنّ حروف توامّ كوامل قد تجدهنّ في بعض الأحوال أطول وأتمّ منهنّ في بعض وذلك قولك: يخافُ وينامُ، ويسيرُ، ويطيرُ، ويقومُ، ويسومُ، فتجدُ فيهنّ امتدادا واستطالة ما فإذا أوقعت بعدهنّ الهمزة أو الحرف المدغم ازددن طولا وامتدادا." [37]

وتجدرُ الإشارة إلى أنّ حروف المدّ على ضربين:

الأول: حروف المد واللين وهي ثلاثة (الألف والواو الساكنة المضموم ما قبلها والياء الساكنة المكسور ما قبلها)[38] قال المهدوي:" ولا يمكن أن يدخل المد في غير هذه الحروف وإنما كان ذلك لأنّ هذه الحروف أصوات والحركات مأخوذة منها، فامتداد الصوت بها ممكن، ويسوغ فيه التطويل والتوسط والتقصير، ولا يسوغ ذلك في شيء من الحروف سواهنّ" [39] والثاني: حرفا اللين وهما الواو والياء الساكنتان المفتوح ما قبلهما نحو: سَوْء، وشَيْء [40]غير أنّ المدّ فيها أنقص من المد في حروف المد واللين قال المهدوي: "وعلّة ورش في مدّه الياء والواو إذا انفتح ما قبلهما أنّ فيهما شيئا من المد واللين وإن كان أنقص في الرتبة مما في الياء إذا انكسر ما قبلها والواو إذا انضمّ ما قبلها." [41]

وترتبط درجة المد بنوع القراءة قال مكي"فإنّ أنسًا سُئلَ عن قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فقال: كان يمدّ صوته مدّا" [42] فقوله جلّ وعلا:﴿ وَرَتِّلِ القُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴾ [43] يدلّ على التمهّل، والتمهّل يُعطي المدّ وهو الاختيار لإجماع القرّاء على ذلك، ولما فيه من البيان، والقراء في إشباع المد وتطويله على قدر قراءتهم وتمهّلهم أو حدْرهم فليس مدّ من يتمهّل ويرتّل كمدّ من يحدُر ويُسرع." [44]

ونحو من هذا قول بارتيل مالبرج:" فأول ما يجب أن نُلاحظه هو أنّ كمّية كلّ صوت تتوقف على سرعة الإلقاء، وأنه كلما ازدادت سرعة الكلام ازداد كل صوت في القصر والعكس صحيح." [45]

وأرجع علماء القراءة المد لعدة أسباب أهمها:

أ . أسباب لفظية:

الهمزة حيث ذكر مكي أ نّ حروف المد واللين"حروف خفية والهمزة حرف جَلد بعيد المخرج صعب في اللفظ فلما لاصقت حرفا خفيا خيفَ عليه أن يزداد بملاصقة الهمزة له خفاء، فبيّن بالمدّ ليظه، وكان بيانه بالمد أولى لأنه يخرج من مخرجه بمدّ فبيّن بما هو منه." [46]

ب . أسباب موسيقية:

نحو قوله تعالى: ﴿ لاَ تَخاف دَرَكًا ولا تخشَى ﴾ قرأ حمزة (لا تخفْ) بالجزم ويحتمل إثبات الألف

في (تخشى) على هذه القراءة وجهين:

الأول أن تكون الواو حرف استئناف و(لا) بمعنى (ليس) نحو قوله تعالى:﴿ سنُقرئُكَ فلا تنسَى﴾ والثاني: أن تقدّر أنّك حذفت الألف المنقلبة عن اللام ثم أشبعت الفتحة لأنها فاصلة، فأثبت الألف الثانية عن إشباع الفتحة، ومثْلُ هذا ممّا ثبت في الفاصلة قوله: ﴿ فأضّلّونا السّبيلاَ ﴾[47]

ج . أسباب اضطرارية:

وهو التذكّر، ويُرادُ مدّ الصوت بالصائت الأخير ريثما يتذكر المتكلم ما نسيهُ من كلامٍ فينطق به، فإن لم يكن صائتا حُرّكَ تحريكه لالتقاء الساكنين، ومُطلت تلك الحركة. [48]ومثاله: (اشتروا) إذا وقفت متذكرا ل (الضلالة)[49] فتضمّ الواو من (اشتروا) على ما كانت عليه من الضم لالتقاء الساكنين ثم تُشبع الضمة لإطالة صوت وقفة الاستذكار فيُحدث هناك واوا تنشأ عن ضمة واو الضمير ثم تبتدئ فتقول:(الضلالة) فتقطع همزة الوصل لابتدائك بها. [50]

2 . الاختلاس والإخفاء:

عُني علماء التجويد بمصطلح الاختلاس، فذكره الداني في (التحديد) قائلا:" وأما المختلس حركته من الحروف أن يُسرع اللفظ به إسراعا يظنّ السامع أنّ حركته قد ذهبت من اللفظ لشدة الإسراع وهي كاملة في الوزن ثامة في الحقيقة إلا أنها لم تمطط ولا ترسل بها فخفى إشباعها ولم يتبـيّن تحقيقها." [51]

وهذين الأداءين (الاختلاس والإخفاء) من بين جملة أداءات نطقية مهمة في متن الدراسات اللسانية العربية ببُعدها الصوتي.

وقد أشار أبو عمرو الداني إلى هذه الأهمية في بابه الموسوم ب " ذكر البيان عن حقائق الألفاظ وحدود النطق بالحروف" إذ قال في مستهله ما نصّه:" اعلموا أنّ التجويد لا يتمكن والتحقيق لا يتحصّل إلاّ بمعرفة حقيقة النطق بالمتحرك والمسكن والمختلس والمرام والمـشم والمهموز والمسهل والمحقــق والمشدد والمخفـف والممدود والمقصور والمبين والمدغم والمخفف والمفتوح والممال." [52]

وهذين الأداءين يشكلان ظاهرة صوتية تسير في اتجاه معاكس لاتجاه ظاهرة المد النطقية لأنهما قائمان على أساس تقصير مدة نطق الصوت لا تطويلها،ومن أمثلة الاختلاس ما قرأه أبو عمرو﴿بَارِئِكُمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَتُوبُوا إلى بَارِئِكُمْ ﴾ [53]باختلاس الحركة أي: مختلسا غير ممكن كسر الهمزة وقرأ الباقون بإشباع الحركة على الأصل.[54]

وعقّب ابن جني على هذه القراءة فقال: "مختلسا غير ممكّن كسر الهمزة حتى دعا ذلك من لطف عليه تحصيل اللفظ إلى أن ادّعى أنّ أبا عمرو كان يسكّن الهمزة والذي رواه صاحب الكتاب اختلاس هذه الحركة لا حذفها البتة وهو أضبط لهذا الأمر من غيره من القراء الذين رووه ساكنا." [55]

ويبدو لي أنّ هذا الاختلاف بين رواية الإسكان والاختلاس ناتج عن اختلاف قوة السمع بين الرواة، فمن تتصف أذنه بقوة السمع يحس باختلاس الحركة والعكس صحيح.

أما الصوت المخفى فهو لا يُخالف اشتغال المختلس، وقد وضّح الداني هذا الفرض بقوله:"وكذا المخفى حركته من الحروف سواء، قال سيبويه: المخفى بوزن المظهر، وقال غيره: هو بزنته إلا أنه انقص صوتا منه، وحقيقته في اللغة السترة، ومن ذلك قوله تعالى:﴿ إنّ السّاعةَ آتيةٌ أكاد أخفيها ﴾ [56] أي أسترها. والمخفى شيئان حرف وحركة .فإخفاء الحرف نقصان صوته، وإخفاء الحركة نُقصان تمطيطها" [57]

3 . الإشمام والروم:

إنّ إطلاق لفظ الإشمام على الظواهر الصوتية مجاز لا حقيقة؛ لأنّ الأصوات تسمعُ بالأذن، والشمّ موضوع للروائح التي تُستنشقُ بالأنف. [58] قال الخليل بن أحمد في العين:" والإشمام أن تُشمّ الحرفَ الساكنَ حرفا"[59]

وقد أطلق الإشمام في بعض القراءات على خلط الضمة بالكسرة في مثل (قيلَ وسيىء) بإشمام أوله الضم وكان للداني رأي حول ذلك إذ أشار إلى أنه من حق الحرف أن يُنحى بكسرة فاء الفعل المنقولة من عينه نحو الضمة كما يُنحى بالفتحة من قوله تعالى:﴿ منَ النّارِ﴾ [60] إذا أريدت الإمالة المحضة نحو الكسرة فكذلك يُنحى بالكسرة إذا أريدَ الإشمام نحو الضمة لأنّ ذلك كالممال سواء،وهذا الذي لا يجوز غيره عند العلماء من القراء والنحويين.[61]

وهذه إشارة من الداني على أنّ الإشمام في وسط الكلمة يكون بصويت يخرجُ بين الضمة والكسرة، ويُمكنُ تمثل ذلك بالكتابة الصوتية للفظ. [62] Kila= Kuila بالإشمام = قيلَ

والإشمام لا يكون خاصا بالوقف بل قد يكون في الوصل أيضا قال:"وأمّا المشمّ من الحروف في حال الوصل أو الوقف فحقه أن يخلص سكون الحرف ثم يومئ بالعضو وهما الشفتان." [63]

أما الروم فهو النطق بالحركة بصوت خفي[64] أو النطق ببعض الحركة[65] أو هو ما يكادُ الحرف يكون به متحركا [66]وعرفه الداني بقوله: "هو تضعيف الصوت بالحركة أي حركة كانت ولا يتم النطق بها

فيذهب بذلك معظمها ويسمع لها صويت خفي يدركه الأعمى بحاسة سمعه وهو مع ذلك في الوزن محرك." [67]

في حين أنّ الإشمام هو لرؤية العين لا غير؛ إذ هو إيماء بالشفتين إلى الحركة بعد إخلاص السكون للحروف فلا يقرع السمع ولذلك لا يعرفه إلاّ البصير، ويُستعملُ فيما يعالج بالشفتين من الحركات وهو الرفع والضم لا غير.[68]

وكان سيبويه قد وقف على حقيقة الإشمام الوقفي، وبين طبيعته والغرض منه وعلامته إلى جانب حديثه عما يصحبُ الوقف من إسكان وروم وتضعيف فقال في بيان أنواع الوقف:" فأما المرفوع والمضموم فإنه يُوقف عنده على أربعة أوجه: بالإشمام وبغير الإشمام كما تقف عند المجزوم والساكن، وبأن تروم التحريك وبالتضعيف فأما الذين أشمّوا فأرادوا أن يُفرّقوا بين ما يلزمه التحريك في الوصل وبين ما يلزمه الإسكان على كل حال، وأما ما كان في موضع نصب أو جر فإنك تروم فيه الحركة وتضاعف وتفعل فيه ما تفعل بالمجزوم على كل حال وهو أكثر كلامهم، وأما الإشمام فليس إليه سبيل." [69]

فالإشمام عند سيبويه يكون في المرفوع والمضموم فقط أما الروم فيكون في الحركات الثلاث الضمة والكسرة والفتحة.

ولم يخرج علماء القراءة والتجويد عمّا ذهب إليه سيبويه في تعليل ظاهرة الروم والإشمام في الوقف، فقال عبد الوهاب القرطبي:" فأما من أشار من القراء فإنه اختار ذلك لما فيه من التنبيه والدلالة على الحركة أن لو وصلَ الكلمَ كيف كانت تكون هذه الحركة طلبا للإبانة، وشحّا على ذهاب الحركة بأسرها، فيدخل على المعنى لبسٌ ما وهو معنى قول سيبويه: أرادوا أن يفرقوا بين ما يلزمه التحريك في الوصل وبين ما يلزمه الإسكان في كل حال." [70]

ونقل أبو بكر محمد بن القاسم بن الأنباري (ت 327 ه) عن خلف بن هشام (ت 229 ه) ترجيح مذهب الإشمام لما فيه من فائدة للمعلم والمتعلم وذلك قوله:" قال خلف: وقول حمزة والكسائي أعجبُ إلينا لأنّ الذي يقرأ على من يتعلم منه إذا قرأ عليه فأشمّ الحروف في الوقف علمَ معلّمهُ كيف قراءته لو وصل، والمستمع أيضا غير المعلم يعلمُ كيف كان يصلُ الذي يقرأ." [71]

وتوسّع المالقي في تعليل الوقف بالإشارة إلى الحركة بالإشمام معلّقا على قول الداني في التيسير:" لما في ذلك من البيان"[72]"يعني لما في الوقف بالروم والإشمام من بيان الحركة التي تثبت في الوصل للحرف الموقوف عليه وهذا التعليل يقتضي استحسان الوقف بالروم والإشمام إذا كان القارئ بحضرته من يسمع

قراءته، أما إذا لم يكن بحضرته أحد يسمع تلاوته فلا يتأكد الوقف إذ ذاك بالروم والإشمام لأنه غير مُحتاج إلى أن يُبيّن لنفسه وعند حضور الغير يتأكد ذلك ليحصل البيان للسّامع، فإن كان السامع عالما بذلك علمَ صحة عمل القارئ وإن كان غير عالمٍ كان في ذلك تنبيه له ليعلمَ حكم ذلك الحرف الموقوف عليه كيف هو في الوصل؟ وإن كان القارئ متعلما ظهر عليه بين يدي المعلم هل أصاب أو أخطأ فيُعلّمه. قال العبد (المالقي) وكثيرا ما يعرض لي مع المتعلم في مواضع من القرآن يكون القارئ قد اعتاد الوقف عليها ولم يُنبّهَ على وصلها كقوله تعالى:﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ و﴿إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خيرٍ فقيرٌ﴾ [73] فيقف القارئ على(عليم) و(فقير) بالسكون على عادته فأشعرُ بأنه لا يُحسنُ الوصل فآمره بوصلها فيقرأ (عليم) و(فقير) بالخفض إلى غير ذلك مما يحتاج المعلم أن يتفقد فيه حال المبتدئ. [74]

ويتّضح من هذا العرض أنّ الوقف بالإشمام مذهب للقراء مشهور، وأنّ لذلك وظيفة في صحة القراءة ووضوح الدلالة فيه يَعرفُ السامع للقارئ، والناظر إليه صحة قراءته للحرف الموقوف عليه إذا ما وصله.

4 . الوقف:

عرفه السيوطي (ت911 ه) صوتيا فقال:" الوقف عبارة عن قطع الصوت عن الكلمة زمنا يُتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة لا بنية الإعراض ويكون في رؤوس الآي وأوساطها ولا يأتي في وسط الكلمة ولا فيما اتّصل رسما."[75]

ولا يصحّ الوقف على المضاف دون المضاف إليه، ولا المنعوت دون نعته، ولا الرافع دون مرفوعه وعكسه، ولا الناصب دون منصوبه وعكسه، ولا إنّ أو كان أو ظنّ وأخواتها دون اسمها، ولا اسمها دون خبرها، ولا المستثنى منه دون الاستثناء، ولا الموصول دون صلته اسميّا أو حرفيّا ولا الفعل دون مصدره ولا حرف دون متعلّقه ولا شرط دون جزائه كما يرى ذلك ابن الأنباري. [76]

ولذلك فقد عبّر السيوطي عن الوقف بأنه:"باب عظيم القدر جليل الخطر لأنه لا يتأتى لأحد معرفة معاني القرآن ولا استنباط الأدلة الشرعية منه إلاّ بمعرفة الفواصل" [77]ولأن الوقف يغيّر أحيانا المعنى، وقد يُضيف معاني أخرى فقد أدرك القراء وعلماء التجويد ما للوصل والفصل من أهمية في تغير المعنى فحضّوا على تفقد مواطنه من الكلام وأوجبوا على القارئ لآي القرآن الكريم معرفة الوقف والابتداء لما جاء في ذلك من الآثار الواردة عن الصحابة رضي الله عنهم والتابعين والأئمة، فقد ثبت أنّ الإمام عليّا كرّم الله وجهه لمّا سُئلَ عن قوله تعالى: ﴿ ورتّلِ القرآنَ تَرْتيلاً ﴾ [78] قال:" الترتيل معناه تجويد الحروف ومعرفة الوقوف." [79]

5 . الإمالة:

هي العُدولُ بالألف عن استوائه وجُنوح به إلى الياء [80] أو أن تذهبَ بالفتحة جهة الكسرة [81]وهي فنّ يُقصدُ به التناسبُ والانسجام بين الحروف والحركات.

وهذه التعريفات تتفق على أنّ الإمالة جُنوح بالألف إلى صوت الياء، وبالفتحة إلى صوت الكسرة، وذلك للانسجام والتقريب بين الأصوات؛ أي تناسب صوتين صائتين وتقارُبهما؛ ولأنّ نُطقَ الألف وهو فتحة طويلة باستواء اللسان في قاع الفم كما ذكر ابن يعيش في تعريفه السابق وهو ما أيدته الدراسات الحديثة. [82]

ومن أمثلة قراءة حمزة والكسائي [83] وغيرهما لقوله تعالى:﴿ وَالضّحَى واللّيلِ إذَا سَجَى﴾ [84] بإمالة الألف في الضّحى نحو الياء وعلى الرغم من شُيوعِ الإمالة في الألف(الفتحة الطويلة) نحو الياء(الكسرة الطويلة) فإنها تقعُ أيضا مع الحركات الأخرى على النحو الآتي:

أ . إمالة الفتحة نحو الضمة:

حدّد ابن جني هذه الحركة فقال:" هي التي تكون قبل ألف التفخيم وذلك نحو: الصّلاة والزكاة ودَعُا، وغَزُا، وقُام، وصُاغ وكما أنّ الحركة أيضا هنا قبل الألف ليست فتحة محضة بل هي مشوبة بشيء من الضمة فكذلك الألف التي بعدها ليست ألفا محضة لأنها تابعة لحركة هذه صفتها فجرى عليها حُكمها "[85] ويعني بهذه الألف هي الفتحة الطويلة الممالة نحو الضم، وقد وردت في قراءة بعض القراء لكلمة (الصّلاة) قال سيبويه:"يعني بلغة أهل الحجاز في قولهم: الصلاة والزكاة والحياة" [86]

وقرأ الأزرق بتغليظ اللام في (الصلاة) [87] وهذا يعني أنّ الألف ستكون مغلّظة أيضا، والألف هي فتحة طويلة، وعند تغليظها يكون اللسان مرتفعا بسبب التفخيم وهذا هو جُنوح نحو الضمة عندما يكون الارتفاع من مؤخرة اللسان وهو ما يحدث في نطق الصلاة بدليل رسم هذه الحركة على هيئة الواو، فكتبت هكذا: (صلوة) و(زكوة) و(حيوة) وعلل ابن جني سبب كتابة ألف التفخيم في(الصلاة) و(الزكاة) بصورة الواو فقال:"كتبوا الصلوة والزكوة والحيوة بالواو لأنّ الألف مالت نحو الواو كما كتبوا احديهما وسوّيهنّ بالياء لمكان إمالة الفتحة قبل الألف إلى الكسرة." [88]

وأشار تمام حسان إلى سبب آخر لرسم هذه الحركة الطويلة واوا فقال عن هذه الحركة:"لمّا جاورت أصواتا غير مطبقة فخشي مدوّنو القرآن على تفخيم الألف فلهذا السبب كتبوها في صورة الواو ليعلمَ القارئ أنّ هذه الألف مفخمة." [89]

ويبدو أنّ سبب رسم الفتحة الطويلة واوا هو للإشارة إلى استدارة الشفتين بسبب إمالة الفتحة نحو الضمّ عند نُطقها مع اتّساع الفم نتيجة لحركة الفك الأسفل مع ارتفاع مؤخّرة اللسان قليلا فبذلك يحدث الصوت المفخم الذي ينتج عن هذه الوضعية للفم.

ب . إمالة الكسرة نحو الضمّة:

ويُسميها القراء (الإشمام) وهي الكسرة المشوبة بالضمة، ومثّل لها ابن جني ب (قُيِلَ) (بُيِعَ) و(غُيِضَ) و(سُيِقَ) وأضاف قائلا:"وكما أنّ الحركة قبل هذه الياء مشوبة بالضمة؛ فالياء بعدها مشوبة بروائح الواو" [90]

وقرأ كلّ من الكسائي وهشام وغيرهما: ﴿ و إذا قُيِلَ لهم﴾ [91] [92]بإشمام كسرة القاف الضم ونسب أبو زرعة القراءة إلى الكسائي وقال: كذلك يفعل في﴿غُيِضَ﴾ و﴿سُيِءَ﴾ و﴿حُيِلَ﴾ و﴿جُيِءَ﴾ و﴿سُيِقَ﴾ [93] وبيّن أبو زرعة حجّة الكسائي في قراءة الإشمام فقال:"أشار في أوائلهنّ إلى الضمّ لتبقى بذلك دلالة على معنى ما لم يُسمّ فاعله وأنّ القاف كانت مضمومة" [94]

من ذلك نفهم أنّ القارئ ينحو بقراءة الإشمام بالكسرة نحو الضمة فيميل الياء الساكنة بعدهاوذلك للإشارة إلى أنّ فاء الفعل مضمومة في الأصل.

ج . إمالة الضمة نحو الكسرة:

وهي الضمة المشوبة بالكسرة ومثّل لها ابن جني ب(مذعُور) و(ابن بُور) وفسّرَ ذلك بقوله:"نحوت بضمّة العين والباء نحو كسرة الراء فأشممتها شيئا من الكسرة " [95]هذه هي الضمة الممالة نحو الكسرة القصيرة.

وورد في القراءات إمالة الواو الصحيحة نحو الكسرة، ونعني بها ليست هي واو المد أي الواو المفتوحة. مثلا . قال عنها ابن جني:" الياء والواو لمّا تحرّكتا قويتا بالحركة فلحقتا بالحروف الصحاح" [96] فمن ذلك قراءة أبي عمرو والكسائي وحمزة ﴿ للتّقوى ﴾ [97] بالإمالة أي بإمالة الواو نحو الياء، وقرأ حمزة والكسائي وخلف[98]﴿والتّقوى﴾[99] بالإمالة، وقرأ حمزة والكسائي وورش﴿مأواهم﴾[100] بالإمالة أيضا. هذا هو حالة الضمة الممالة نحو الكسرة.

ولا تجدُ الكسرة ولا الضمة مشوبة بشيء من الفتحة؛ وسبب ذلك ذكره ابن جني فقال:" إنّ الفتحة أول الحركات وأدخلها في الحلق والكسرة بعدها والضمة بعد الكسرة فإذا بدأت بالفتحة وتصعّدت تطلّبَ صدر الفم والشفتين اجتازت في مرورها بمخرج الياء والواو فجاز أن تُشمّها شيئا من الكسرة أو الضمّة لتطرقها

إياها، ولو تكلفت أن تُشمَّ الكسرة الضمة رائحة من الفتحة لاحتجت إلى الرجوع إلى أول الحلق فكان في ذلك انتقاص عادة الصوت بتراجعه إلى ورائه، وتركه التقدم إلى صدر الفم والنفوذ من الشفتين فلما كان في إشمام الكسرة أو الضمة رائحة الفتحة هذا الانقلاب والنقض ترك ذلك فلم يُتكلّف البتة" [101]

وقال أيضا:" إنّ بين الضمة والكسرة من القُرب والتناسب ما ليس بينهما وبين الفتحة فجاز أن يُتكلّف نحو ذلك بين الضمة والكسرة لما بينهما من التجانس." [102]

6 . خاتمة:

استنادا لكلّ ما تقدّم نقول إنّ من أهم المتون اللسانية في تُراثنا العربي وخاصة في مستواها الصوتي هو المتن المعرفي التابع لعلماء التجويد والتلاوة؛ ذلك المتن الثرّ بمقالاته، ونظرياته الجليلة، ويكفيه فخرا أنه حافظ على اللسان العربي في مستواه التعاملي الفصيح على مدى قرون من دون أن يشوبه عيب، كما شابَ الألسنة البشرية الأخرى التي لم تتحصّن بالعلوم اللسانية الحافظة لهوية نُطقها وتعاملها اللساني. ويُضافُ إلى هذا العلم اللساني الثر جهود القراء وما أثاروه من مقولات صوتية في حقلهم المعروف بالقراءات القرآنية؛ فلقد حاولوا تقديم منهج تعليمي دقيق للعالِم والمتعلِّم المتصدي لتلاوة القرآن وتعليمه للنشء، ويتلخص منهجهم ذلك بوضع الحلول الناجحة للمخالفات النطقية المتلمسة في تأدية الأصوات، فلقد بحثوا في الحركة وجزء الحركة. وكلّ ما عرضناه في هذا المقال أمثلة يسيرة لبعض ظواهر الأداء الصوتي المتعلقة بالأصوات الصائتة التي كان لها الأثر البارز في علمي القراءات والتجويد حيث ساهمت هذه الأخيرة في الحفاظ على النطق السليم لأصوات العربية حيث أنّ أيّ إخلال بأحوال الصوائت يُؤدي إلى إخلال في القراءة والتجويد مما ينجرّ عنه الخطأ في الدلالة، وزيادة على ذلك فقد ساهمت ظواهر الأداء الصوتي في تسهيل وتحقيق الانسجام الصوتي مما جعل علماء التجويد والقراءات يضعون أسسا لعلميهما، وتدوين قواعدهما وتحديد مراتب التجويد، وكان لظواهر الأداء الصوتي الفضل في إثراء البحث الصوتي لدى علماء القراءات والتجويد بمصطلحات جديدة.

الهوامش:

القرآن الكريم برواية ورش

1 . إبراهيم أنيس، 1985، مجلة مجمع اللغة العربية من مقال بعنوان: وحي الأصوات في اللغة، العدد 10، ص 128

* . هو كتاب (الهندوسية) المقدس. ينظر : www.Islamic_council.com

2 . أبو الحسن علي بن جعفر السعيدي،1421هـ، 2000 م، التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي ضمن كتاب رسالتان في تجويد القرآن، تحقيق: غانم قدوري الحمد، دار عمار، الأردن، ص 28

3 . رشاد سالم، 2010، مجلة كلية اللغة العربية من مقال بعنوان في علم الأصوات العربي، العدد 17 ص 1108

4 . غانم قدوري الحمد،1986 م، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، مطبعة وزارة الأوقاف العراقية، ص 60

5 . سيبويه أبي بشر عمرو بن قنبر، دت، الكتاب، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، دت 2 / 406 وينظر: أبي الفتح عثمان بن الجني،1405 هـ، 1985 م، سر صناعة الإعراب، دراسة وتحقيق: حسن هنداوي، دار القلم للطباعة والنشر، دمشق، 1/ 20 . 71

6 . الداني أبي عمرو عثمان بن سعيد الأندلسي،1421 هـ، 2000 م، التحديد في الإتقان والتجويد، دراسة وتحقيق: غانم قدوري الحمد، دار عمار، الأردن، ط 1، ص 107

7 . القيسي أبو محمد مكي بن أبي طالب، دت، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة بعلم مراتب الحروف ومخارجها وصفاتها وألقابها وتفسير معانيها وتعليلها وبيان الحركات التي تلزمها، تحقيق: أحمد حسن فرحات، توزيع دار الكتب العلمية، دط، ص 101 ، 102

8 . ينظر على سبيل المثال: إيمان صالح مهدي عباس،1416 هـ، 1996 م، دراسة الظواهر اللغوية والنحوية في كتاب الكافي في القراءات السبع، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، ص 136

9 . أبو مزاحم الخاقانيّ،1421 هـ، منظومة الإمام الخاقاني في التجويد ضمن قصيدتان في تجويد القرآن، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الفتاح القاري، دار مصر للطباعة، ط1، ص 18

10 . أبو الفضل محمد بن جعفر الخزاعي الجرجاني،1415هـ ، 1995 م، المنتهى، رسالة دكتوراه، كلية القرآن الكريم، المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، ص 392

11 . الداني أبي عمرو عثمان بن سعيد الأندلسي، التحديد في الإتقان والتجويد، ص 82 . 83

12 . عبد الحميد حسن، دت، فن الإلقاء، مراجعة: محمد محمود رضوان، دار نشر الثقافة الاسكندرية، ص 27

13 . ينظر: محمود طاهر درويش،1986م، الخطبة في صدر الإسلام، دار المعارف، القاهرة، 1 / 33

14 . رشاد محمد سالم، ربيع الثاني 1426 هـ، يونيو 2005 م، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية من مقال بعنوان: الأداء الصوتي في العربية، المجلد 2 العدد 2، ص 214 / 215

15. غالب فاضل المطلبي، 1984م، في الأصوات العربية . دراسة في أصوات المد العربية . دار الحرية للطباعة، بغداد، ص 17

16. الداني أبي عمرو عثمان بن سعيد الأندلسي، التحديد في الإتقان والتجويد، ص 107
17 . نفسه: ص 107
18. الإمام نصر بن علي بن محمد أبي عبد الله الشيرازي الفارسي المعروف بابن أبي مريم، 1414 ه، 1993م، الكتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها، تحقيق: عمر حمدان الكبيسي، مكة المكرمة، ط 1 1 / 175
19. غانم قدوري الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص 346
20 . الحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري، دت، النشر في القراءات العشر أشرف على تصحيحه: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1 / 22
21 . الداني أبي عمرو عثمان بن سعيد الأندلسي، التحديد في الإتقان والتجويد، ص 68
22 . عبد الوهاب القرطبي،1421 ه،2000 م، الموضح في التجويد، تحقيق: غانم قدوري الحمد، دار عمار، الأردن، ط 1، ص 211
23 . نفسه: ص 214
24 . غانم قدوري الحمد،1408ه، 1998م، علم التجويد دراسة ميسرة، مطبعة أسعد، بغداد، ط 1، ص 11 . 14
25 . القيسي مكي بن أبي طالب،1393 ه، 1973 م، الرعاية لتجويد القراءات وتحقيق لفظ التلاوة، تحقيق: أحمد حسن فرحات، دمشق، ص 51 / 52
26 . زكريا الأنصاري،1421 ه،2001 م، الدقائق المحكمة في شرح المقدمة، مكتبة الآداب، مصر، القاهرة ، ط 1، ص 10
27 . محمد منصف القماطي، 1986م، الأصوات ووظائفها، منشورات جامعة الفاتح، دط، ص 88
28 . مهدي المخزومي،1406 ه، 1986م، الخليل بن أحمد الفراهيدي أعماله ومنهجه، دار الرائد العربي بيروت، ط 2، ص 149
29 . سورة المزمل الآية 4
30 . كمال بشر، 1980م، علم اللغة العام . الأصوات . دار المعارف، مصر، دط ، ص 28
31 . ابن الجزري، النشر في القراءات العشر 1 / 214 . 215
32 . علاء جبر محمد،1427 ه،2006 م، المدارس الصوتية عند العرب . النشأة والتطور . دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، ص 122 . 123
33 . بسام بركة، دت، علم الأصوات العام، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، دط، ص 131
34 . عبد الوهاب القرطبي، الموضح في التجويد، ص 128
35 . سيبويه، الكتاب 4 / 437
36 . الداني أبي عمرو عثمان بن سعيد الأندلسي، التحديد في الإتقان والتجويد، ص 120 ، 121
37 . ابن جني، سر صناعة الإعراب 1 / 17
38 . الإمام أبي العباس أحمد بن عمار المهدوي، دت، شرح الهداية، تحقيق ودراسة: حازم سعيد حيدر، مكتبة الرشيد، الرياض، دط 1 / 79
39 . نفسه 1 / 30
40 . ابن الجزري، النشر في القراءات العشر 1 / 204
41 . الإمام أبي العباس أحمد بن عمار المهدوي، شرح الهداية 1 / 35
42 . ابن حجر العسقلاني،2003م، فتح الباري، شرح صحيح البخاري، دار السلام بالرياض، ودار الفيحاء بدمشق، ط 3، ص 150
43 . سورة المزمل الآية 4

44 . أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، 1404ه، 1984م، كتاب الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق: محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1 / 57 . 58

45 . بارتيل مالبرج، 1985م، الصوتيات، ترجمة: محمد حلمي هليل، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الخرطوم، ص 100

46 . الداني أبي عمرو عثمان بن سعيد الأندلسي، التحديد في الإتقان والتجويد، ص 121

47 . السورعلى الترتيب: طه الآية 77، الأعلى الآية 6، الأحزاب الآية 67

48 . عبد البديع النيرباني،1427ه ،2006 م، الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، ط1، ص 213

49 . سورة البقرة الآية 16

50 . ابن جني، سر صناعة الإعراب 2 / 650

51 . الداني أبي عمرو عثمان بن سعيد الأندلسي، التحديد في الإتقان والتجويد، ص 95 . 96

52 . نفسه ، ص 95

53 . سورة البقرة الآية 54

54 . أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس إعراب القرآن،1429ه، 2008م، اعتنى به: الشيخ خالد العلي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط 2، ص 42

55 . أبو الفتح عثمان بن الجني،1429 ه،2008 م، الخصائص، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 3، 2 / 109 . 110

56 . سورة طه الآية 15

57 . الداني أبي عمرو عثمان بن سعيد الأندلسي، التحديد في الإتقان والتجويد، ص 96

58 . غانم قدوري الحمد،1432 ه،2011 م، أبحاث جديدة في علم الأصوات والتجويد، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، ص 232

59 . الخليل بن أحمد الفراهيدي،1424 ه،2003 م، كتاب العين، تحقيق:عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2 / 357

60 . سورة البقرة الآية 167

61 . الداني أبي عمرو عثمان بن سعيد الأندلسي، التحديد في الإتقان والتجويد، ص 97

62 . إبراهيم خليل الرفوع، 2011م، الدرس الصوتي عند أبي عمرو الداني، دار الحامد للنشر والتوزيع عمان، الأردن، ط1، ص 185

63 . الداني أبي عمرو عثمان بن سعيد الأندلسي، التحديد في الإتقان والتجويد، ص 96

64 . ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، 2 / 121

65 . المرجع نفسه والصفحة نفسها.

66 . ابن جني، الخصائص، 2 / 109

67 . الداني أبي عمرو عثمان بن سعيد الأندلسي، التحديد في الإتقان والتجويد، ص 96

68 . نفسه، ص 96 . 97

69 . سيبويه، الكتاب 4 / 168 . 171

70 . عبد الوهاب القرطبي، الموضح في التجويد، ص 208

71 . أبي بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري النحوي،1391ه، 1971 م، إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عزّ وجل، تحقيق: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، دمشق، 1 / 386

72 . أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، التيسير في القراءات السبع، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1416ه، 1996 م، ص 506

73 . سورة يوسف الآية 76 والآية 24

74 . المالقي عبد الواحد بن محمد،1424 ه، 2003 م، الدر النثير والعذب النمير في شرح كتاب التيسير، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وزميليه، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، ص 581 . 582

75 . جلال الدين السيوطي،1428 ه، 2007 م، الإتقان في علوم القرآن، ضبطه وصححه: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 1 1 / 175

76 . نفسه 1 / 167

77 . جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، 1 / 166

78 . سورة المزمل الآية 4

79 . ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، 1 / 209

80 . ابن علي بن يعيش النحوي، دت، شرح المفصل، عنيت بطبعه ونشره بأمر المشيخة إدارة الطباعة المنيرية، مصر،دط، 9 / 54

81 . ابن هشام الأنصاري، 2003م، أوضح المسالك، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2، 2 / 179

82 . إبراهيم أنيس، دت، الأصوات اللغوية، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، دط، ص 32 . 34

83 . الداني، التيسير في القراءات السبع، ص 45

84 . سورة الضحى الآية 2

85 . ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1 / 52

86 . سيبويه، الكتاب 4 / 432

87 . الشيخ أحمد بن محمد البنا،1407 ه،1987 م، إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، المسمى منتهى الأماني والمسرّات في علوم القراءات، تحقيق: شعبان محمد إسماعيل، عالم الكتب، بيروت، مكتبة الكليات الأزهرية، ط1، 1 / 309

88 . ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1 / 50

89 . تمام حسان،1421ه، 2001م، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، دط 2001 م، ص 53

90 . ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1 / 52 . 53

91 . أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس،1429ه، 2008م، إعراب القرآن للنحاس، اعتنى به: خالد العلي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، ص 22، وينظر: أبي جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري ابن الباذش،1403 ه، الإقناع في القراءات السبع، تحقيق: عبد المجيد قطاش، دار الفكر، دمشق، ط 1 2 / 597

92 . سورة البقرة الآية 11، وسورة النساء الآية 61

93 . السور على الترتيب: هود الآية 44 و77، سورة سبأ الآية 54، سورة الزمر الآية 69، سورة الزمر الآية 71

94 . أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، 1418 ه،1997 م، حجة القراءات، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 5، ص 89 . 90

95 . ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1 / 53

96 . نفسه: 1 / 20

97 . سورة المائدة الآية 8

98 . الشيخ أحمد بن محمد البنا، إتحاف فضلاء البشر، 1 / 529

99 . سورة المائدة الآية 2

100 . سورة النساء الآية121

101 . ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1 / 53 . 54

102 . نفسه: 1 / 54